# الفصل الأول
# (السقوط)

داعب شعيرات ذقنه المهذبة في شرود وهو يتطلع إلي نفسه أمام المرآه أو ربما نفسه هي التي كانت تتطلع له، هذه المرة عليه فعلها، هو ليس مثاليًا ويعرف أنه مقدم علي خطيئة كبري ولكنه لا يريد أن تكون لحيته شاهدًا عليها، تلك التي حفظت توازنه كرجل طوال ثلاثين عامًا ، لابد أن تغادر وجهه الأثم الأن إلي غير رجعة.

لم تنبت لحيته بسهولة، بل مكث يربيها طوال عشر سنوات اتسع فيها صدره للخير والشر ولكنها كانت دائما تنهاه عن الكثير من الذنوب والسقطات، تذكر تلك المقولة الشهيرة التي سمعها من شيخه في مقتبل عمره وهي "ربها تربيك" كان ساعتها شابًا صغيرًا ويريد تربية لحيته ولكنه خشي أن يفعل فعلا شائنا فيشير إليه الناس قائلين " انظروا الشيخ صاحب اللحية المتظاهر بالتدين ماذا يفعل " يومها باح بما يعتمل بصدره إلي شيخه، ذلك الرجل الذي تجاوز الستين عمرًا واختزل بين جنبات عقله علوم ألف عام من الدين ، يومها تبسم الشيخ وقال له هذه العبارة وتركه يؤل معناها بنفسه

"ربها تربيك"

أي أنك حتي لو لم تكن ملتزمًا فبمجرد تربيتك للحيتك كمظهر تدين فأنها سوف تنهاك عن فعل الذنوب خشية أن تشين دينك بها.

ربما الشيخ علي صواب وربما هو حسن النية والظن أكثر مما ينبغي، تلك اللحي لم تمنع ولن تمنع أصحابها أبدا من أكل الحقوق ومعاقرة الخمر وحتي عن إتيان النساء في الحرام ، هناك قول للمتنبي يقول

" لا تغرنك اللحي والصور ، تسعة أعشار ما تري بقر"

التدين نفسه مهما بلغت مظاهره وشدته ليس ينهي الإنسان عن فعل المعاصي ولكنه فقط يمنعه من الإستمتاع بها كما يجب ، هو يتذكر صاحبه (عمر) ذلك الذي كان يبالغ في التمسك بأصول وطقوس العبادات أشد المبالغة حتي أنه يكرر الوضوء إذا لامس ثوبه شيء ، أي شيء، كان هو نفسه (عمر) الذي أقام علاقة مع إمرأة متزوجة والأدهي أنه كان صديقا لزوجها، بالطبع هو علم بالأمر ولكنه لم يشأ فضح ستر الثلاثة طالما أن الله لم يفضح سترهم بنفسه، لم يخشي هو علي الخاطئان ولكنه خشي من وقع الفضيحة علي الزوج المسكين النائم في غفلته والمتسربل بجهله.

وقع الفضيحة في المدينة يختلف عن القرية، المدينة أحداثها سريعة متلاحقة ولا يلبث الحديث علي أفواه الناس أكثر من يوم وليلة ، أما في قرية كقريته رغم كثرة عدد سكانها فعمر الفضيحة من عمر مرتكبيها بل وتطال أبنائهم وأحفادهم في بعض الأحيان.

ندم أنه تذكر (عمر) فما فعله صديقه الأثم يوشك هو علي فعل أشد منه، علي الأقل (عمر) ارتكبها مع إمرأة يعشقها وتعشقه وبدون مقابل ، أما هو الأن فعلي بعد ساعات من لقاء فتاة لا يعرفها ولا تعرفه مثل أي حيوانان تقابلا في منتصف طريق، ليهبها مالًا كان أولي به أهل بيته أو حتي بطون الفقراء مقابل أن تهبه جسدها لساعة شهوة، هذا يجعله في مرتبة أدني من (عمر).

عشر سنوات مرت بين سعيه في بناء جدار أخلاقه وإلتزامه وبين شروعه في هدم نفس ذات الجدار ويا لسخرية القدر، ما أقامه بجهد وبطء ها هو يهدمه بسرعة وبسهولة .

تري هل كان العيب في الجدار منذ البداية فكان هشا متهالكا بغير أساس ،أم العيب في الباني نفسه فلم يحسن بناء جداره، أم أن عواصف الخطيئة في الزمن الحديث كانت أقوي من أي جدار.

أغلب الظن أنه ليس شيئا من كل هذا، فقط الجدار كان لا يرتكن إلي أي شيء أخر، جدار وحيد، بلا أي جدران أخري تؤازره وتدعمه.

هو لم يكن يفكر في الخطيئة حينما كان بصحبه أهله وأخواته، كان مرأي أخواته البنات الثلاثة ينهاه عن ارتكاب الحب المحرم مع أية فتاة رغم توافر الفرصة أمامه عدة مرات.

يذكر أنه في أوائل سنين مراهقته ورغم قلة ادراكه في تلك الفترة اصطحبه بعض أصدقائه لقضاء وطرهم من عاهرة القرية ولابد لكل قرية من عاهرة، لابد للشريفات من جدار يرجمنه كل صباح ومساء، كان اسمها (عائشة) وكانت قد تجاوزت الأربعين بقليل، البعض يقول انها أرملة والبعض يظنها مطلقة ولكن الكل يجذم أنه قد مر بين ساقيها كتائب من الذكور مختلفة الأحجام والأشكال.

كانت خدماتها غير مكلفة وبضع روبيات كافية لتفتح لك ما بين ساقيها ولو زدتها قليلا لأعطتك خدمات أخري ليس أقلها ان تعطيك ظهرها لتمتطيه.

جمع أصحابه نقودا من مصروف دراستهم الهزيل طوال شهور، وذهبوا إلي المرأة يختبرون أولي براعم فحولتهم، لم تطردهم المرأة رغم حضورهم في منتصف النهار ورغم حضورهم جميعا ولكنها طلبت منهم أن يدخلوا عليها الواحد تلو الأخر، لم يمكث أكثرهم قوة أكثر من خمسة دقائق بالداخل، المرأة كانت خبيرة بلا شك ولا وقت لديها تضعيه، كانت تعتصر الواحد منهم فتخذله صلابته في دقائق وتعيد الكرة من جديد.

حتي أتي دوره، دخل وجلا، كان خائفا منها وخائفا من أن يعلم أحد بما سيفعله، رؤية تلك الغابة السوداء التي ما بين جبال ساقيها لم يشجعه كثيرا كذلك، تلك الغابة توشك أن تبتلعه ليضيع بداخلها، ليتعرق جبينه ثم يهرع بالعدو مبتعدا وسط ضحكات أصدقائه، أحيانا تكون الشجاعة في الهروب وليست في الإقدام وهو كان حينها شجاعا كفاية ليهرب.

لم يكررها وحاول تحصين نفسه بكل شيء، زاد من صلاته وصومه، تقرب من أصدقاء جدد شعر أنهم أكثر التزاما، وغير مظهره الخارجي ليوحي أنه متدين حتي يلزم نفسه بذلك.

" إحذر من المدينة يا (عدنان)

كانت هذه هي كلمات شيخه المقتضبة له، لا يفهم طريقة الشيوخ العالمين ببواطن الأمور هذه، يستوي فيها الشيخ المسلم بالراهب البوذي، يمنحونك كلمات وعبارات مقتضبة ويتركون لك حرية التفسير، يعطونك أحيانا أسئلة لتجيب عنها بنفسك وأنت قد اتيت لهم من بحر التيه فى الإجابات الخاطئة وتبحث عن إجابة صحيحة.

كان الخروج من القرية الصغيرة في (بيشاور) إلي العاصمة الباكستانية (إسلام اباد) بمثابة الخروج من الهدوء إلي الصخب، ومن صحبة فتاة بريئة تلعب علي العشب إلي رفقة إمراة لعوب تمرح في الفراش.

(إسلام اباد) جميلة مغرية مليئة بالملذات،بها كل ما تود أن تكونه وما ترفض أن تكونه ، إذا اردت أن تكون مستقيما ملتزما توجه إلي ذلك المكان، هؤلاء هم أصحابك وهذا هو سبيلك، ولو أردت ان تتمرغ في المجون فاذهب إلي ذلك المكان وهؤلاء هم ندمائك وهذا هو طريقك.

ولكنه التزم بتحذير شيخه وبقية من قوي إلتزام كانت تموج بداخله، كان يقترب فقط من الخطاة ليراهم ويتحسر علي حالهم، حاول أن ينشغل بهدفه الأكبر فى أن يصير طبيا محترفا، مواد الدراسة الجديدة صعبة بكلية الطب هناك وتحتاج إلي تركيز كبير، وضع صورا لأساطين الطب في العالم في غرفة استذكاره لعلها تلهمه، فرش سجادة صلاة لم ينزعها من مكانها طوال شهور إقامته هناك حتي تذكره بضرورة الإنضباط، ومارس الرياضة بإتظام حتي تصرف عنه شهوته ، ولكنها لم تفعل، ظلت شهوته متقدة ولكن الرياضة منحته جسدا رياضيا قويا.

مرت السنوات وأجتاز دراسته بنجاح كبير ثم عمل بتكليف بسيط في إحدي القري النائية في (لاهور) كان قد تخصص في طب النساء والولادة.

والحق أنه كان خبيثا في ذلك.

هو رمي من وراء تخصصه إلي عدة اهداف بعضها بريء والأخر خبيث والعجيب أنها متناقضة مع بعضها البعض، فمن ناحية سيرضي شهوته بحكم تخصصه ويتمكن من الإطلاع علي جسد المراة عاريا من كل شيء، بل ويطلع علي أعضائها الحساسة دون خشية من أحد وربما لامس شيئا هنا أو هناك دون أن يفسر الأمر بطريقة سيئة.

ومن ناحية أخري كان يري أن ذلك التخصص سيجعله ينفر من النساء والمرأة بشكل ما فهو سيري النساء المريضات ، سيعيش ما بين حيض ونفاس وتشوهات في الأعضاء، هو قد رأي ومارس عملية ولادة النساء ويعرف أنه لا

أحد أبدا سيصدق أن المراة ساعتها تكون كائنا بشعا لا تشعر نحوه بأي شهوة علي الأطلاق.

وما بين الإثنان عقله أختار هذا التخصص لأنه يعرف أن أهم سمعة يحافظ عليها طبيب النساء والولادة ألا يتورط فى أي علاقات غير مشروعة مع النساء لأن ذلك سيؤذي سمعته المهنية.

كانت أجساد القرويات في (لاهور) كما توقعها مترهلة، غير جذابة وتدعو بالنفور وقلما مرت عليه فتاة بضة من التي يحب النظر إلى جسدها.

صاح به صاحبه (عمر) ممازحا ذات مرة :

- ألا يثير شهوتك النظر إلي مكمن كنوز المرأة؟

احتقن وجهه ساعتها وقد أحس أن صديقه قد نفذ إلي مستودع أسرار روحه فقال غاضبا :

- أنا طبيب وقد أقسمت قسم أبقراط.

ضحك (عمر ) ساعتها حتي استلقي علي ظهره وهو يقول :

- يا عزيزي (عدنان) كلنا رجال وقسم أبقراط لن يكون أشد من قسم الله ، تمتع فأنت لديك رخصة للتمتع ولن يشك بك أحد.

ولكن رغم تلميح صديقه لم يفعلها، أصر أن يبقي صامدًا قويًا ملتزمًا، ولكن تلك القطرة البسيطة من الدعوة للرذيلة تسربت إلي جدرا روحه العظيم، وما ينهار الجبل إلا من سقوط بنات المطر عليه علي مر الزمان.

ظل يتنقل بين مدينة وأخري وأسعفه حظه بالإستقرار في مدينة (إسلام أباد) مرة أخري حيث تمكن من إنهاء دراساته العليا، وحينها قابل (شهيدة).

كانت طبيبة أخري أصغر منه بعام وأندرجت في أول عمل لها بالمستشفي، من عائله تماثله مكانة ليست من بنات الأغنياء أو العائلات الباكستانية الأصيلة وما هي إلا أيام من التعارف ليجد نفسه وقد تقدم لها يطلب منها الزواج منه.

كانت حسناء سمراء البشرة وزادها حجابها فتنة وسحرُا، وشعر معها أنها هي من ستمنحه العفاف، دامت خطوبتهما شهران فقط، لم يجرؤ فيها علي مصافحتها باليد خشية أن يكسر جدار التزامه ولم تبدي هي أيضا أي عاطفة جسدية نحوه، حتي ما إن تم الزواج واختلي كل منهما بالأخر أنطلق بركان من الكبت إختزناه طوال سنين ليحرق كل منهما الأخر.

الحقيقة أنها كانت مذهلة بالفراش ولكنها كانت تقليدية ، كل ما تخيله طوال سنوات عن روعة العلاقة وسحرها تبخر بعد أول ممارسة، وبينما هي تغسل بدنها المتسخ بدأ هو يشعر أنه لم يختلف شيئًا عما قبل الزواج ، فقط هو أختبر التجربة ولكن التجربة المختبرة لم ترتقي إلى سقف طموحه.

شعر أن كل الرجال والنساء الذي يتحدثون عن روعة ممارسة العلاقة الحميمية كاذبون، أو مدعون، ليس في العلاقة الجسدية أي لذة من أي نوع، ولكن مع الوقت بدأت تأتيه فكرة أخري.

ربما لهذا الأمر لذة ولكن الشريك الذي ارتبط به لا يعرف كيف يمنحه هذه اللذة، هناك تجارب حسية كثيرة تأبي (شهيدة) أن تشاركه إياها بدعوي التقزز او التحريم، يتظاهر هو أنه كان يمزح حينما طلب منها هذه التجارب ولكنه في الحقيقة كان يريد ممارستها بكل ما أوتي من صدق وجدية .

ولهذا بدأت جنة إصطناعية تتشكل في خياله منحته شعورا أنه لازال بإمكانه الإستمتاع أكثر، هناك حدائق نساء لم يزرها وفاكهة محرمة لم يذقها.

بدأت علاقته ب (شهيدة) تفتر عقب انجابهما طفلهما الأول ( عظيم) بدأت تهمله لأيام وأسابيع ثم أتت طفلتهما الثانية (هينا) لتطمر التراب علي ما كان من سحر العلاقة.

كان جسده مازال متوقدا بل ويشعر أن قوته وفحولته تزيد ولكن لا يوجد تصريف لتلك الشهوة، لمح مرة علي سبيل المزاح لزوجته عن رغبته في الاقتران بأخري، نظرت له واجمة قبل ان تشير الي باب المسكن قائلة :

" هي تدخل ، أنا أخرج"

المعادلة بسيطة لديها، حقك في الزواج لن أنكره ولكن حقي في الخروج من حياتك مشروط ولن أخرج وحدي ، سأخذ معي أبنائك معي وستراهم بمواعيد محددة وفي اماكن معينة

التقم الرسالة كحجر في فمه وجاهد في المبالغة بإظهار حبه ل (شهيدة) حتي ينسيها هذا المزاح الجاد من طرفه ونست أو تظاهرت بالنسيان، فذاكرة النساء لا تعرف الزهايمر.

بدأ يجد صدي لثقب بدأ يتسع في جدار التزامه ، صار يتلذذ بصحبة الخطأة ، زميله الطبيب (مرتضي) يتفاخر أمامه بأن تلك المريضة الحسناء التي تعمل بالبنك قد دعته إلي شقتها الفاخرة لتسقيه من رحيق جسدها ما لذ وطاب، لم ينكر فعل صديقه، ابتسم ولم يعلق ولكنه طوال الليل أخذ يستدعي صورة المريضة وما فعلته مع الطبيب العابث، والخيال دائما يكون أكثر مبالغة من الحقيقة فأضاف الي ما سمعه أشياءًا وأشياء من واقع خياله المتأزم.

وفتحت شهيته أكثر لمثل تلك الأحاديث والعجيب أن مجتمع الأطباء مليء بها، علاقة الأطباء بالمريضات وعلاقتهم بالممرضات كذلك، أحاديث فضيحة، بدأت يده تتسلل رغما عنه ليكتب علي الأنترنت عن قصص جنسية مكتوبة بإعتبارها أقل تحريمًا فهي لا تحوي صور أو فيديوهات، كان يقفز ببصره سريعا علي النص ويقرأ عن قصص جنسية بين رجل وجارته ثم رجل وخطيبته ثم عن جنس حيواني بوهيمي بين زوج وزوجته، كان مثل الشخص الذي قرر أن يجرب المخدرات ولكن علي مضض، ليجرب جرعة صغيرة من مخدر قليل المفعول ولكن الإدمان لا يتوقف ، لنجرب جرعة أكبر ثم لنجرب مخدر أقوي، وهكذا سقط رغما عنه في بحر من القصص الجنسية وأصبح يبحث عنها بنهم ، بل ويمل

من التقليدي منها فبدأ يبحث عن قصص الجنس بين المثليين وكذلك بين المحارم ثم عن قصص الاغتصاب ثم سقط في فخ الصور.

كان أول مرة رأي صورة لأمراة عارية وهو في سنة الحادية عشر،أراها له صديقه بالمدرسة وقد اقتطعها للتو من مجلة او لعلها أتت ملفوفة مع ثمرة تفاح مستورد من الولايات المتحدة الأمريكية، لم تكن صورة فجة ولكنها فتحت عيناه علي ذلك العالم الساحر.

وها هو الأن يري صورة لفتاة مكتنزة وكانها حصان بري يرفض الترويض مرفقة مع إحدي القصص ، أحيت به بركانا من اللهب والشغف فمضي مأخوذا إلي سحر الصور

صورة واحدة

أعقبها اثنان

ثم ثلاثة

وعشرة

ومائة

وألف

حتي فقد القدرة علي الإحصاء ، كانت بعض الصور متحركة فقادته إلي عالم الأفلام ومن هناك لم يعد للمدمن أن يعود.

إجتهد في إخفاء أثار بحثه علي الأنترنت عن كل الناس وعلي الأخص زوجته، كان هذا عالمه السري الخاص والمثير وكان يمني نفسه أنه مع الوقت سيتوقف عن ذلك في سن معينة ودعم ظنه هذا صحوات إيمانية كانت تمر به بين طور وأخر فيبالغ في التزامه أو في رفض تلك الأمور شكلًا وموضوعًا.

ولكن تلك الصور وتلك الأفلام، ملايين النساء اللاتي فتحن عيناه علي ثمار فاكهة غير العنب الحصرم الذي لديه بالمنزل بدأت تتداعي كمطرقة علي جدرا إلتزامه فصار واهنًا، حاول أن يرمم ذلك الجدار عدة مرات ولكنه كان يعلم أنه علي وشك التداعي يوما ما.

ربما في أعماق نفسه تمني هو أن يتداعي ذلك الجدار لينطلق بعده إلي غابة النساء كأي صياد محترف.

شعر أه بدأ يضيع من نفسه شيئًا فشيئًا ، هو لم يعد متسقا مع نفسه، ذلك المظهر الملتزم والحديث الراقي والأسرة المثالية لا تمثله ، لا يشعر أنه هو وأيضا ما يسعي إليه ويريده من مجون لا يمثله.

كان ذات مرة في مؤتمر علمي في (جاكرتا) ثم تسرب بعد المؤتمر مثل ثعبان سام يسعي بحثا عن تجربة النوادي الليلة، غير ثيابه لأخري أقل تكلفًا واتخذ موقعه قرب البار، حاول الاندماج مع الموسيقي الراقصة وعيناه تلتهمان سيقان وصدور النساء إلتهاما، وتخترق تلك المؤخرات الرائحة والغادية.

هذا عالم من الصور الحقيقية الملموسة والمحسوسة.

اقتربت منه فتاة صغيرة نهداها بارزان ترقص منه وتميل بجسدها حيث يميل، سألته إن كان يود المغادرة، ربما يستطيع أخذها إلي غرفة فندقه الفاخر والذي يسمح بمثل تلك الأشياء بلا غضض.

ليلة متعة لن يحسبها عليه أحد ولن يشعر بها أيا كان ويعود بعدها كما كان.

كان لازال به قوة من إيمان ساعتها فأعتذر لها لتتركه وتنصرف لتراقص شابًا امريكيًا ثم تمضي معه إلي حيث أراد، طوال الليل كانت تداعبه إبتسامة رضا أنه صالحا وأنه في مثل تقي النبي (يوسف) عليه السلام ، حيث أنه رفض الفاكهة المحرمة التي عرضت عليه مجانًا قبل أن يشعر بالندم قليلا يتسلل إلي نفسه وهو يحاول تخيل ما كان يمكن لهذه الفتاة أن تفعله معه.

هذه الفرص لا تتكرر كثيرا في يومه الروتيني في (باكستان) هناك ألف قيد وقيد يمنعه هناك ولهذا في قرارة نفسه قرر السفر للعمل خارج (باكستان).

كعادته دوما كان هناك نيتان لكل شيء أراد القيام به ، نية حسنة ونية سيئة، أقنع نفسه أن العمل الجديد سيمنحه مكانة أفضل ووضعًا ماليًا أعلي وهكذا يؤمن لأسرته دخلا وحياة أحسن، ونيته السيئة أنه سينطلق إلي عالم المتع الحسية بلا حسيب ولا رقيب ويوم أن يكتفي سيعود طائعا مستقيما وربما أصبح مصلحًا أخلاقيًا كذلك.

أقتنعت (شهيدة) زوجته بحجته في سعيه إلي تحسين وضعهم المالي ووعدها أنه سيبحث لها عم عمل كطبيبة كذلك في البلد التي سيسافر إليها وبعد أسابيع قليلة من البحث تمكن من الحصول علي عمل في إمارة (الشارقة) في الامارات العربية المتحدة والحقيقة انه اختارها متعمدًا.

كانت (الشارقة) حسبما سمع إمارة ملتزمة وأهلها من المحافظين حتي أن الخمر ممنوع بها في كل الأماكن علي عكس باقي الإمارات العربية ، ولهذا فإن أي خطيئة سيغرق بها سيكون مثل المضطر عليها لأن اوجه الفتن ليست كثيرة ولا متيسرة، هو كان مثل الذي يريد من يرغمه علي الإنحراف، كان يفكر كثيرا لماذا لا يسقوه خمرًا عنوة أو تغتصبه إمراة تحت تأثير مخدر

هو بذلك يحصل علي المتعة دون أدني مسؤولية إنسانية أو أخلاقية عليه ولكن هيهات أن تأتي رياحه بما تشتهي سفنه، كان يعلم أنه هو من سيقدم علي الخطوة الأولي ولكنه يؤخرها عسي أن تختلف الأمور قبل الوصول لهذه الخطوة.

في خضم ذلك بدأت نفسه تلقي اللوم علي (شهيدة) لكل ذلك

هي من قادته إلي ذلك، حين عرفها كان ملتزما مثل الجبل الراسخ ولكن برودها في العلاقة وإهمالها له ضعضعت جدار التزامه، ربما لو بذلت مجهودًا اكثر ، ربما لو أخرا الانجاب أو أنجبا طفلا واحدا، ربما لو كانت أكثر شهوة لظل علي حاله القديم.

أراح لومه ل (شهيدة) نفسه المعذبة وهو يسافر إلي (الشارقة) ويستقر بها، مضت شهور بدأ فيها في التأقلم مع الحياة والذوبان مع التيار حتي صار جزءا من مجراه الطبيعي وما أن ارتاحت جوانجه حتي استيقظت روحه المطاردة تبحث عن هدفه المنشود.

كانت مواقع التواصل الاجتماعي قد عرفت طريقها إليه ومعها وسائل التواصل الحديثة الأخري، بدأ بحثه المكثف فيها ، قادته أنامله إلي بضع سيدات هنا وهناك ، أحاديث مراهقة وربما صور متبادلة ولكن لا شيء يطفيء ظمأه.

أكتشف أن (دبي) مليئة بكل تلك الأمور، هناك الجنة الموعودة وما عليه إلا الحج إلي كعبة الذنوب هناك وكعبة (دبي) أقرب من كعبة (مكة).

أول مرة سافر فيها إلي (دبي) أخذ يعد العدة لما سيفعله، مئات من أحلام اليقظة داهمته عن تلك السمراء التي سيمتطيها أو تلك الصهباء التي ستمتطيه.

ذهب إلي أحدي الحانات المعرفة بذلك، كانت مليئة بالشقراوات والسمراوات والصهباوات من جميع الأجناس، اشتهت عيناه فتاة روسية ، شقراء الشعر بيضاء البشرة بشكل غير طبيعي ، أرسل لها سهام نظرته ، التقطتها في خبرة من تمرست علي هذا العمل رغم صغر سنها النسبي، اقتربت من مائدته وهي تسأله أن تجلس ، رحب بها وهو يكاد يذوب من الخجل، ها هو الطعام أمامه ولكنه يخجل من أن يمد يده ليتناوله، سهلت الفتاة المهمة عليه حفاظا علي وقتها وخصوصا أن الليلة في أولها.

فقالت: هل لديك مكان ؟

كان هذا الأمر لم يخطط له، فقد كان يظن أن الفتاة هي المكلفة بتوفير المكان فقال في تلعثم :

- لا ليس لدي، هل يمكننا الذهاب الي مكانك ؟

مطت شفتيها في غير ترحيب وهي تقول

- هنالك السعر سيزيد.

لم يفكر في السعر أيضا، هو حديث العهد بالانحراف، سألها في لهفة :

- كم سعرك؟

بدت له العبارة مبتذلة وشعر أنها غير أدمية ولكن الفتاة يبدو أن أذناها اعتادت مثل تلك الأسئلة وتقبلتها بشكل حسن وهي تبتسم قائلة :

- هل تريد ليلة كاملة أم ساعة واحدة؟

قال لها وهو يوازن في أمره :

- بكم الساعة وبكم الليلة؟

- الليلة مائة دولار وليلة كاملة ثلاثمائة دولار

كان المبلغ كبيرا ولم يكن يتصور أن أسعار تلك الخدمات مرتفع لهذا الحد، أراد التملص منها من دون أن يبدو أمامها بخيلا شحيحا فقال لها :

- وما الذي سأحصل عليه مقابل تلك النقود؟

انطلقت تعدد له الخدمات التي يمكن أن تقدمها لها ، والحقيقة أن العرض كان مثاليًا وأفضل من زوجته ولكنه انتهز فرصة وجود خدمة ما يرغبها بشدة غير متوافرة فسألها وقد شعر أن أمامه مخرج نجاة قائلا

- وهل تقومين ب .....؟

هزت رأسها نفيا فمط شفتيه وكأنما تظاهر بالأسف وهو يقول

- للأسف هذا ما أريده، شكرا لك علي أي حال

نهضت من مقعدها غاضبة وهي تسير إلي مكان أخر بالحانة سعيا وراء أخر يحفظ لها وقتها، شعر بالراحة وهو يقرر الإنصراف ومازال جدار اخلاقه قائما غير أن مرأي تلك الأسيوية الحسناء أمامه الصقه بمقعده، كانت تكبره سنا ولديها نهدان بارزان وأرداف صغيرة مثيرة، طويلة القامة بشكل غريب ، قدر أنها فيتنامية او منغولية، لا يستطيع التحديد فهو ليس خبير في علم الأجناس البشرية.

ابتسم لها وهو يتظاهر بأنه يلقي التحية، كانت تحيته غير واضحة ولكنها لم تهتم، هو زبون وهي تسعي اليه، اقتربت منه ، أشار إليها بالجلوس، جلست وهي تضع ساقا علي الأخري حتي تبرز ما لديها، تفارقت نظراته ما بين صدرها وفخذيها قبل أن تعودا الي وجهها وقد ابتدرته بالحديث :

- من أي البلاد أنت؟

كانت انجليزيتها ثقيلة، قدر أنها إندونيسية ، فقد سمع تلك اللكنة مرارا حينما كان في إندونيسيا، هنا شعر بالحيرة، هل يفصح لها عن جنسيته الحقيقية أم ينتحل جنسية أخري، خلط كلتا نيتيه الحسنة والسيئة فقال لنفسه بأنه سينتحل جنسية أخري غير الجنسية الباكستانية حتي لا يشين بني جنسه وسينتحل جنسية أخري علي عداء معها فيرضى نزعته القومية، فقال لها :

- أنا هندي من (مومباي)

ابتسمت له ابتسامة صفراء ، ربما لم ترقها الجنسية، فيما بعد اكتشف أن جنسية الزبون مهمة جدا لبائعات الهوي، إن كان عربيا من الخليج فهن سيضمن الكثير من المال مع الكثير من الجهد والخدمات المرهقة والمقززة التي عليهن تقديمها، الأمريكيين والأوربيين لديهم الكثير من المال والكثير من الشذوذ ولكنهن غير مرهقين ، الأسيويين ليس لديهم مال وسيرهقوهن بالمفاوضة حول السعر ويبدو أن الهنود من تلك الفئة فجهزت نفسها لسجال حول السعر، ابتدرته قائلة :

- ثلاثمائة درهم

كان سعرها أخف وطاة من الشقراء الروسية، هذا سوق مفتوح وبه عرض وطلب ولكل جنسية أو فتاة سعر مختلف، وهداه عقله او أضله أنه طالما هناك أسعار مختلفة فتلك الأسعار قابلة للتفاوض، في النهاية هي ليست بضاعة ثابتة

كالذهب، هي خدمة بدون مادة خام فعلية، قال لها وهو يريد التملص من الأمر مرة اخري :

- ثلاثمائة درهم لليلة

قالت له وقد صعقت بصوت حاد

- لا يا حبيبي، في الساعة

شعر أنها فرصته فقال لها

- أنا أريد ان أدفع ثلاثمائة درهم بالليلة

صمتت قليلا وهي تفكر قبل ان تقول

- حسنا لا بأس ،هل لديك فندق او شقة ؟

- ليس لدي، سنذهب إلي مكانك

- لا يمكنك الذهاب معي ، أنا اقطن بسكن عاملين ولن يسمحوا لك بالدخول، عليك استئجار غرفة في أي فندق

هز رأسه منكرا طلبها وهو يقول :

- الغرفة ستتكلف مائة درهم علي الأقل، اذن سأدفع لك مائتي درهم فقط

بدا أنها يائسة نوعا ما فقالت له في غير تبسم :

- حسنا، دعنا نذهب الأن ؟

شعر أنها تقتاده بتساهلها إلي ما يريده ولا يرغبه فبذل محاولة أخيرة للتملص وهو يقول :

- مهلا ما الخدمات التي تقدميها؟

أجابته باقتضاب وهي تمسك بيده لتضغط عليها ك

- كل الخدمات؟

هذه الفتاة مستحيلة، هو يعرف أن الأسيويات متهاونات مطيعات ولكن ليس لهذا الحد الرخيص، إنها توشك من تساهله أن تمنحه هي مالا لقاء ذهابه معها

قال لها وهو يكثر من التملص :

- وهل تقومين ب ....؟

هزت رأسها إيجابا فعاد يكرر :

- وأريد أيضا .....

قالت له بصوت خافت ك

- حسنا، كل ما ترغب به سأفعله

يا للهول ، هذه الفتاة تبدو كجنة أحلام لأري خيال مريض، أرض موعودة لكل محروم من المتع، لم يملك سوي أن يقل لها

- ولكني لست مستعدا الأن، ربما غدا هل ستكونين هنا غدا؟

قامت واقفة وهي تطلق عبارات بلغتها الأم في سرعة وكانها قذائف مدفع، لم يحر كثيرا في الفهم، هي تسبه وتطلق عليه اللعنات من قبيل تبا لك وسحقا واللعنة وغيرها من قاموس الشتائم التي لديها قبل ان تمضي مغادرة.

شعر أن الأفضل له أن يغادر الأن قبل أن يتورط أكثر مع أخري أكثر تساهلا من هذه ، فدفع حساب الكوكتيل غير الكحولي الذي طلبه وهو يمضي منصرفا، عاد من (دبي ) إلي (الشارقة ) في نفس الليلة ورغم أنه كان منهكا في فراشه إلا أنه استدعي كلا من الروسية والأسيوية إلي فراش خياله ليفعل معهن وبهن ما لم يجرؤ أن يفعله في الحقيقة.

استفاق من ذكرياته وإجترار ما لديه وهو يقف يتأمل المرأة ،داعب ذقنه مره أخري، شعر بأنه يودعها للمرة الأخيرة، هي كانت معه في أوقات فضيلته ويعز عليه أن يؤذيها بلحظات سقوطة، أمسك بالفرشاة وغمسها في كريم الحلاقة قبل أن يجلو شعيراته كلها ، ثم أمسك بالموسي، نظر له للحظات وكأنما ينهي نفسه عن فعلها قبل أن يبدأ في جز غابة الشعر من جذروها، يكاد يشعر بها تأن وترجوه أن يتركها، تذكره بشجاعة الهرب التي أعتاد عليها، ولكنه لم يسمع لها، بعد دقائق كانت صحراء وجهه وذقنه جرداء بلا شعرة واحدة

يشعر أنه قد صغر سنًا

وبالتأكيد قد صغر مقامًا في نظر نفسه الأن.

بقت ساعة حتي السقوط ... ساعة وتصل الفتاة.